

بلياس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكي موريس ماترلنك

ترجمة الدكتور حسن صادق

(تابع)

اركل — من القادم؟

جنيفيف — انه بلياس وفي عينيه أثر البكاء

اركل — هذا أنت يا بلياس؟ اقرب منى حتى أراك في النور
بلياس — تسلمت يا جدى رسالة من صديقى مارسيلوس في
الوقت الذى تسلمت فيه كتاب أخى... إن هذا الصديق العزيز
على يعانى ألم الاحتضار. وهو يستقدمنى إليه ليرانى قبل أن يفارق
العاجلة. ويقول فى رسالته إنه يعرف بالدقة اللحظة التى سيموت
فيها، وإنى أستطيع الوصول إليه قبل حلول تلك اللحظة إذا شئت.
إنى ذاهب إليه فى الحال.

اركل — يجب عليك أن تنتظر قليلا، على الرغم من ذلك
إننا لاندري ماذا تعدد لنا عودة أخيك. ثم هل نسيت أن أبالك ملقى
على فراشه فى الغرفة التى فوقنا، وقد شفه الداء وبراہ السقم؟
أليس من الجائز أن يكون أشد مرضا من صديقك؟ ومن أولى
برعايتك وعطفك، الوالد أم الصديق؟ (يخرج)
جنيفيف — لاتنس أن تشعل المصباح الليلة يا بلياس

«يخرجان متفرقين»

المنظر الثالث

(أمام القصر. تدخل جنيفيف ومليزاند)

مليزاند — ماهذا السكون المعتم الذى يخيم على الرياض؟
إنه يدخل على النفس الرهبة والاكتئاب! وما هذه الغابات الكثيفة
الجائمة حول القصر؟!

جنيفيف — لما وطلت هذا المكان أثار هذا المنظر العجب
فى نفسى وأخذ منها مأخذا شديدا. إنه رائع مخوف يفرق كل من
رآه فى التأمل العميق. توجد أمكنة لا يرى الانسان فيها نور الشمس
ولا ضوء القمر، فاذا ما طال مقامه بها ألفها واطمأن اليها...
قضيت فى هذا القصر الموحش أربعين عاما أو تزيد قليلا...
لونظرت إلى الناحية الأخرى لرأيت نورا ينبعث من ماء البحر

مليزاند — أسمع حركة قريبة منا

جنيفيف — نعم. أحد الناس يسير نحونا... آه! إنه بلياس...

مسافة منها ترين محفة الأرواح (بنات نعش الكبرى) بأقطابها
الأربعة الساطعة. وعلى مقربة منها «الحيوانات الثلاثة». والنجم
الصغير المقابل للثلاثة هو «السائق»؛ وانظري من حولها هذه
النجوم الهاوية، إنها النفوس التى لم يقبلها الخالق فى جنته...
وتحتها بقليل ترين «المشط» أو «الملوك الثلاثة» (الجوزاء)
التي نستعين بها على معرفة الوقت. فيكفى ان القى عليها نظرة
واحدة لاتأكد أن نصف الليل قد انقضى. وعلى مسافة منها للجنوب
يلعب «جان دى ميلان» سراج الكواكب كلها (الشعرى اليمانية)
واليك الحكاية التى يروها الرعاة عنها:

فى ذات ليلة دعيت الشعرى اليمانية و «الملوك الثلاثة» والثريا
الى حفلة زواج احدى صديقاتها النجوم. فتقدمت الثريا رفيقتها
وانطلقت حتى استقرت فى أعالي طبقات الجو كما ترينها؛ ولحق بها
«الملوك الثلاثة» بطريق أدنى؛ أما الكسول «جان دى ميلان»
فقد أخره نومه عن اللحاق بها، فاغناظ ورماها بعصاه ليقفها فى
مكانها. ولهذا يطلقون أحيانا اسم «جان دى ميلان» على «الملوك
الثلاثة».

ولكن أجمل النجوم وأكبرها قدرا «نجمة الراعى» التى تير
لنا الطريق فى الفجر عند ما نخرج بالماشية الى المرعى، وفى المساء
عند ما نعود بها الى الحظيرة. ونسميها أيضا «ماغلون» وهى
الجميلة التى تمشى دائما لئلا يبردى برؤفانس (زحل) لتتزوج
به كل سبع سنوات مرة واحدة.

— ماذا تقول! وهل من زواج عند النجوم؟

— نعم أيتها الأنسه

ولما أخذت أشرح لها محور هذا الزواج احسست بشيء ناعم
يثقل على كتفى فى لطف ورقة؛ فنظرت فأذا برأسها الناعس متكئا
على، واذا بشرائطه الخيرية وتخاريمه اللطيفة وشعره المجعد تكبى
الى ان بدأت الكواكب تصفر فى سماءها، وأخذ ضوء الفجر ينبثق
فى الافق البعيد ليمحو أثرها. اما انا فكنت أتأمل الفتاة النائمة
بشيء من الحزن الخفيف. لا أفكر فى هدأة الليل وصفائه إلا بكل
ما هو جميل وشريف. وعلى جوانبنا تتابع النجوم سيرها ببطء
وسكوت كأنها قطع من الغنم. وبين الفينة والفينة كنت أشعر
ان أطف وأجمل نجمة كانت قد أضلت الطريق فهبطت الى كتفى
فنامت عليه بهدوء....

كيفون (لبنان) محمد كرم

ما يزال التعب باديا في أسارير وجهه وفي خطواته المشاقة ... لقد انتظركا طويلا

مليزاند — إنه لم يرنا

جنيفيف — أعتقد أنه رآنا، ولكنه لا يعرف ما يجب عليه عمله، بلياس، بلياس، أهذا أنت؟

بلياس — نعم. إني آت من شاطئ البحر.

جنيفيف — ونحن أيضا كنا نبحت عن مكان نعيم بشيء من النور، ولكننا لم نجد مكانا أقل ظلمة من هنا. كنا نرجو أن نجد البحر منيرا فألفيناه قائما مكفهرًا ...

بلياس — ستهب الليلة عاصفة كما هبت من قبلها عواصف في الليالي القليلة الماضية ... ومع ذلك أرى الجو هادئا في هذا المساء، والسماء مصححة والبحر ساكنا لا تعروه رعدة ولا تلوه موجة، قد يركب البحر الليلة لإنسان وهو مطمئن خاطر مثلوج الفؤاد، حتى إذا بعد عن الشاطئ، دهمته العاصفة، وحطمت السفينة، وابتلعه اليم في جوفه ...

مليزاند — أرى شيئا يخرج من المرفأ

بلياس — لا بد أن يكون هذا الشيء سفينة كبيرة .. الانوار عالية، وسنرى السفينة بعد قليل حينما تبلغ الموضع الذي فيه أشعة الضوء جنيفيف — قد يحجبها عن عيوننا الضباب الرافد على سطح البحر فلا نراها

بلياس — كأنني بالضباب يعلو في دهب وبطء ...

مليزاند — نعم ... أرى الآن على البعد نورا ضئيلا لم أراه قبل ذلك.

بلياس — هذا هو ضوء منارة ... توجد منارة أخرى لم نرها بعد مليزاند — بلغت السفينة الحيز المضيء ... انها الآن بعيدة عن الشاطئ

بلياس — إنها تبعد مسرعة وقد نشرت كل شراعها.

مليزاند — وهي التي جازت بي الى المرفأ ... ان لها شراعا كبيرا أعرفه حق المعرفة

بلياس — سيأخذها الليلة هياج البحر!

مليزاند — ولماذا أقلعت في هذا المساء؟ ... اختفت عن الأبصار أو كادت. قد تحل بها كارثة في وحشة الظلام!

بلياس — الليل يبسط على الكون ظلمته في سرعة غريبة (سكوت)

جنيفيف — حان الوقت لدخول القصر. بلياس، دل مليزاند على الطريق. إني ذاهبة لأرى (اينولد) الصغير وأمكث بجانبه بعض لحظات (تخرج)

بلياس — لم أعد أرى شيئا على سطح البحر:

مليزاند — أرى أنوارا أخرى ...

بلياس — إنها المنائر الأخرى ... أسمع صوتا يأتينا من البحر؟ إنه زفيف الرياح وقد مسحت عن عينيها فتور الكرى ... هاتي يدك ... الطريق من هنا

مليزاند — أنظر ... أنظر ... في يدي أزهار كثيرة!

بلياس — أعتمدى على ذراعى ... ان الطريق كثيرة الالتواء شديدة الانحدار، والظلام حالك متكاثف ... في نيتي الرحيل غدا مليزاند — أوه! لماذا تتوى الرحيل؟ (يخرجان)

الفصل الثاني

المنظر الأول:

(عين ماء في الحديقة . يدخل بلياس ومليزاند)

بلياس — تجهلين دون ريب هذا المكان الذي قادتك اليه ... اني أفزع اليه في كثير من الأوقات فرارا من شدة القيظ ... الحر خائق اليوم، حتى تحت ظل الشجر!

مليزاند — أوه! الماء صاف!

بلياس — وهو بارد منعش كعهدي به أيام الشتاء ... هذه عين ماء عتيقة أهملت منذ زمن بعيد، وأظنها كانت تأتي بالمعجزات ... كانت تشفى الأعشى ولذلك ما يزال الناس يطلقون عليها « عين العمى »

مليزاند — ولم تعد تنتج هذا الاثر؟

بلياس — من يوم أن ضعف بصر الملك وشارف العمى لم يعد يتردد على العين أحد

مليزاند — ما أثقل الوحدة على صدر الانسان في هذا المكان! إني لأسمع فيه حسا ولا ركزا!

بلياس — السكون التام الغريب يألف هذا المكان في كل حين ويستطيب صحبته في كل آن ... أنظري الى الماء، إنه في سبات عميق ... اجلسي إذا شئت على هذا المرمر الذي يحيط بالعين ... فوق رأسك شجرة الزيزفون لا تحترقها أشعة الشمس

مليزاند — سأرقد على المرمر ... إن شوقاً ملحاً يدفعني الى رؤية القاع

بلياس — لم يرق قط ... قد تبلغ العين في عمقها البحر

مليزاند — قد يرى الانسان قاعها اذا وضع فيه شيء يلعب

بلياس — لا تنحني هكذا!

مليزاند — أرغب في لمس الماء « يتبع »

لغو الصيف

« بقية المنشور على صفحة ٦ »

كورتلين اليه ، وأى سبب بين هذا الشاب المصرى وهذا النابغة الفرنسى؟ قال : بينهما سبب لا أدرى الآن ماهو ، ولعله إن صدقت الظنون وتحققت الآمال أن يكون التفوق والنبوغ ، ولعل الله قد أذن لمصر أن يكون فيها كورتلين كما كانت في فرنسا . قالت : فإني لا أحب الاطالة ، ولا أحب الالتواء ، فأوضح وأبى عما تريد . قال توفيق الحكيم يا آنسة شاب مصرى ، ظهر فجأة بقصة تمثيلية أنت أحد أشخاصها . قالت : أنا أحد أشخاصها ! ماذا تقول؟ قال : نعم لأن أشخاصها أهل الكهف ، ولست أريد أن أطيل في تقريظ هذه القصة . وإنما أقول إنى قرأت في هذا العام قصصا تمثيلية كثيرة ظهر بعضها بالفرنسية ، وبعضها بالانجليزية ، وبعضها بغير هاتين اللغتين . وترجم اليهما أو إلى إحداها ، فكانت قصة أهل الكهف هذه خير ما قرأت من هذه القصص كلها وأحسنها موقعا من نفسى ، وأشدّها إثارة لاجعابى . ولست أدرى أمعجب أنا بموضوعها أم بأسلوبها السهل ، أم بألفاظها الساذجة أم بتحليلها الدقيق أم بهذا كله ، ولست أشك في أن إعجابى بها سيضعف منذ اليوم لأنك أحد أشخاصها . ومن يدري لعلك رسكا التى صورها توفيق الحكيم ! قالت : وقد ضاقت بهذا المزاج : لو كنت برسكا لما جهلت مبدعى ! قال : كم بين الناس يعرفون مبدعهم ؟ قالت : وقد كتب صاحبك هذه القصة باللغة العامية ؟ قال : لا ، بل بلغة لا تبعد كثير عن العامية . وليست هذه القصة هى التى ذكرت حين تحدثنا عن كورتلين ، فان لتوفيق الحكيم قصة أخرى غير تمثيلية سماها عودة الروح . والغريب أن أهل الكهف ظفرت أول الامر باعجاب الشباب والشيوخ جميعا . فلما ظهرت عودة الروح تنكر لها بعض أعلام البيان في مصر ، ودعا هذا التنكر بعضهم إلى أن يراجعوا إعجابهم بأهل الكهف فيخففوا منه وبقصدوا فيه . اما الشباب فاضافوا إعجابا إلى إعجاب . ورضى الى رضى وبدؤا يتخذون هذا الكاتب الشاب قدوة لهم ومثالا . قالت : وماذا ينكر أعلام البيان من عودة الروح ؟ قال لغتها ، فهى ككتاب كورتلين أبطاها شعبيون فينطقهم المؤلف بلغة الشعب ، ولعله يغرق في ذلك بعض الشيء ، واعلام البيان يكرهون ذلك ويحرصون على ألا تظهر آيات البيان الا في اللغة الفصحى ، وهم يضمنون بهذا الشاب على أن ينفق جهده الخصب ويضيع وقته العزيز في هذه اللغة المتبدلة ، قالت : ولكن القصة نفسها مارأيهم فيها؟ فليست القصة ألفاظا خالصة ولا معانى خالصة ، وإنما هى قوام من الالفاظ والمعانى ، ولا بد من أن يستقيم لها جمال اللفظ وجمال المعنى ، فهب ألفاظها رديئة عند أعلام

البيان فاحكمهم في معانيها ؟ قال : قرأها بعضهم فلم يظهر رضى ولا سخطا ، ولم يستطع بعضهم الآخر أن يقرأها فعابها لأن لغتها العامية صرفته عن قراءتها . قالت : فهذا يحل بالانصاف وتجاوز للقصد ، وقد شوقنى الى أن أقرأ هذين الكتابين . ولكن هلا حدثتني عنهما حين كنا في القاهرة . قال ومتى حدثتك في القاهرة عما كنت أريد أن أحدثك عنه ، إنما نلتقى فتمضى الاحاديث بيننا كما تريد هى لا كما نريد نحن ، ولولا أنى سألتك عن هذا الكتاب الذى تقرئين لما جرى بينك وبينى ذكر لتوفيق الحكيم ، وهل فرغنا من الحديث عن أنفسنا لتحدث عن هذا الاديب الجديد . قالت كم كنت احب أن أظفر بكتاييه لأفرف اليهما منك ومن نفسى فقد يخيل الى أنا نسرف في الحديث عن أنفسنا ونغلوا في الاعراض عن غيرنا . وقد يخيل الى أن ين هؤلاء الكتاب الناشئين من هم احق بعنايتك وعنايتي من هذا اللغو الذى نخوض فيه كلما التقينا . قال : وعلى ذكر كورتلين وتوفيق الحكيم ، ما رأيك في هذا الكتاب الفرنسى الجديد الذى كثر الكلام فيه ، واختلف فيه أدباء فرانس كما اختلف أدباء مصر في كتاب توفيق الحكيم ؟ قالت : وما ذاك أيضا ؟ قال ماذا ، ألم تقرئ كتاب سيلين الذى سماه سياحة في آخر الليل ؟ ألم تقرئ ما كتب النقاد حول اللغة التى ألف فيها هذا الكتاب ؟ قالت لا ، قال وهو يضحك : معذرة فقد أسيت أنك نائمة ، وأنت من أهل الكهف . قالت : وقد رمته بكتايها مغضبة منه محقة عليه : هبنى نائمة فإلك لا توقظنى وما اختلافك الى فى القاهرة ، وما لزومك لى فى نيس ، وما مرافقتك لى فى هذا القطار على كره منى . قال وقد أغرق فى الضحك : اما مرافقتك فى القطار يا آنسة لا وطقك ، ولا خرجك من الكهف ، ولأنبك أن فى مصر شابا يقال له توفيق الحكيم كتب قصة يقال لها أهل الكهف ، وأخرى يقال لها عودة الروح . وبأن فى فرانس أدبيا جديدا يسمى نفسه سيلين ، وقد أظهر كتابا « اسما سياحة في آخر الليل » اختلف الناس فيه اخلافاً كثيراً . قالت : فم اختلفوا قال : فى لغته فهو أيضاً مسرف فى حب العامية ، وأنا معجب بكتايه اعجاباً شديداً ، مبعض للغته بغضا شديداً لأنه يعتمد على اعتماد ولا تدفعه اليها الحاجة ولا الضرورة ولا الرغبة فى التصوير الصادق والتعبير الصحيح . وكل هذه الكتب عندى أستطيع أن أعيرك اياها لتقرئى وتحكمى ثم لنحدث بعد ذلك . قالت : فابدأ بقصة أهل الكهف فأعزنى اياها منذ الآن فأسألق ليلتى بينها وبين كورتلين . قال : ولكن أليس خيراً منها ومن كورتلين ان تنفق ساعة أو بعض ساعة : لا أقول فى الحديث فقد يظهر أنك سئمته وضقت به ، وإنما أقول فى العشاء فإنى اسمع جرس الخادم يدعوا اليه ؟ ! طه حسين